دراسات أثرية

مسجد أحمد بن طولون

تأليف

الدكتور كامل اسماعيل

دكتوراه فى الآداب من جامعة باريس

مفتش أول المواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم

«سابقا»

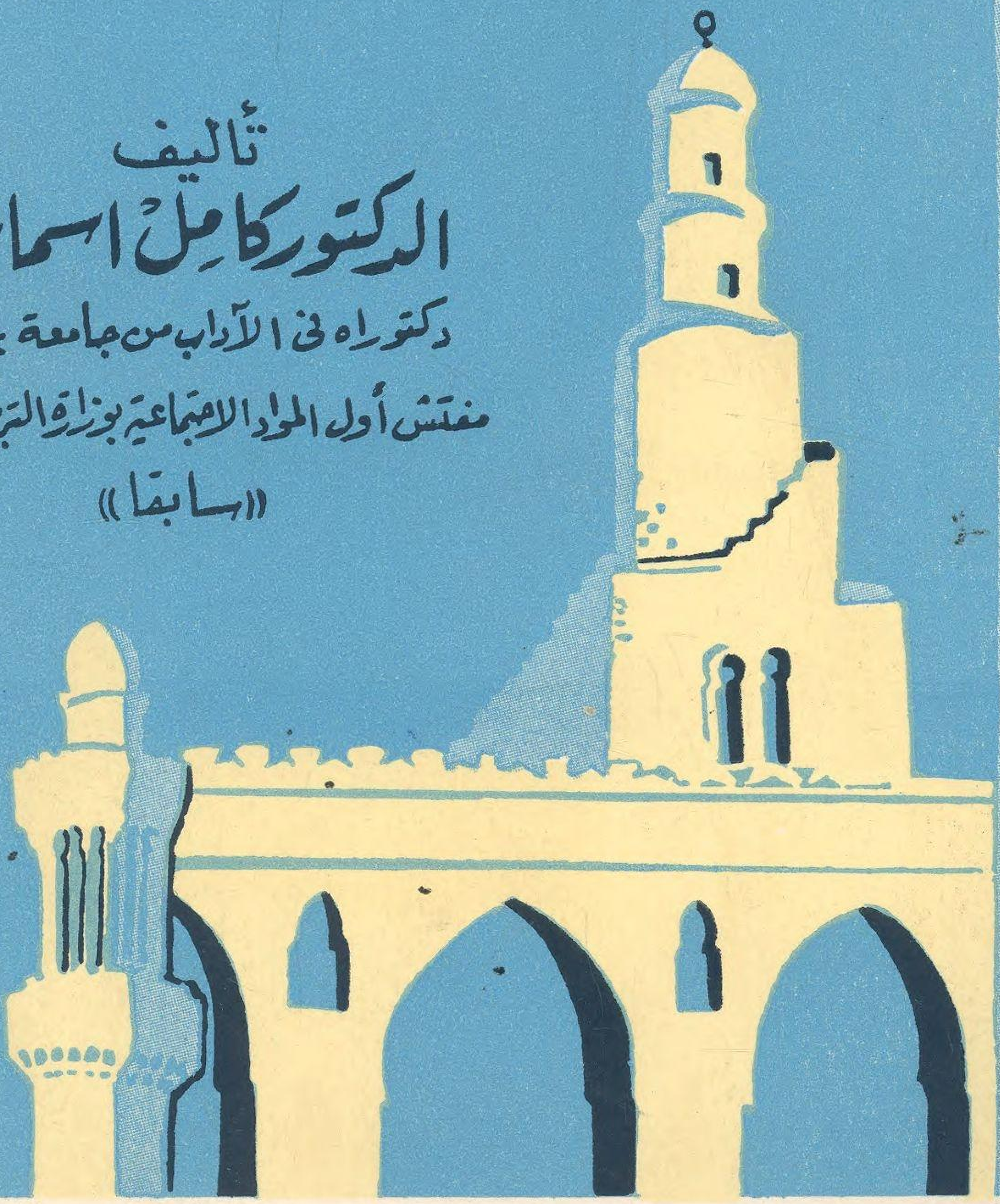

دراسات أثرية

مسجد أحمد بن طولون

بقلم

كامل إسماعيل

دكتور فى الآداب من جامعة باريس

مفتش أول المواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم سابقاً

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقاً)

دار الجيل للطباعة
١٤ شارع نصر اللؤلؤة - الفجالة

مقدمة

نزل أحمد بن طولون عند قدومه إلى مصر نائباً عن الأمير باكباك التركى بدار الإمارة فى العسكر ، لكنه لم يقم بها طويلا ، وأراد أن ينشىء عاصمة جديدة له يزداد اطمئنانه إلى الإقامة فيها ، ويحقق بها أبهة الحكم الذى كان يطمع فيه ، ويجعل منها منافساً لعاصمة الخلافة فى العمران .

فاختار لذلك مكاناً فسيحاً فى سفح جبل يشكر إلى الشمال الشرقى من الفسطاط (١) .

وأول ما أمر ببنائه قصر عظيم يحده ميدان فسيح . لكن معرفتنا بنظام هذا القصر وترتيبه لا تتعدى ما ذكره المؤرخون من أنه كانت له أبواب كثيرة فى كل جهة . وكان منها ثلاثة كبيرة عالية متجاورة يخرج ابن طولون من أوسطها وتخرج الحاشية والعسكر من البابين الآخرين فى ترتيب حسن وعرض جميل مما يدل على فخامة القصر وسعة الميدان وفسحة الطرق المحيطة بهما .

وبعد أن اختار أحمد بن طولون مكان قصره وميدانه أمر أصحابه أن يختطوا لأنفسهم حول هذا المكان بيوتاً ، فاختطوها واقتطعت كل طائفة قطيعة أقامت فيها الدور ، وكانت كل قطيعة تسمى باسمها مثل قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة النوبيين ، فعرفت العاصمة الجديدة بالقطائع (٢) .

---

(١) هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولونى . قال القضاعى جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم وهو الذى عليه جامع بن طولون . ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك . المقريزى — الخطط — ١ ص ١٢٥ .

(٢) وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع . وأما عرضها فأنه أول الرميلة تحت القلعة إلى الموضع الذى يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين . وكانت مساحة القطائع ميلا =

وكانت تلك الحاضرة الجديدة على شيء كبير من السعة ، إذ بلغت مساحتها ميلا فى الطول ومثله فى العرض ، وعمرت عمارة حسنة ، وتفرقت فيها الطرق والشوارع وأقيمت المساجد والطواحين والحمامات والأفران والحوانيت والبساتين والأسواق ، واتصلت مبانيها بعمائر العسكر والفسطاط .

وأنشأ أحمد بن طولون فيما أنشأه مسجداً جامعاً وداراً للإمارة بجواره .

وأقام بيمارستانا أنفق عليه ستين ألف ديناراً ، ويحدثنا المؤرخون أن هـذا المستشفى كان فى بنائه دقيق النظام معدا بكل وسائل النظافة كما وضع له ابن طولون لوائح دقيقة لقبول المرضى وعلاجهم .

ولما ولى « خمارويه » حكم الديار المصرية (٨٨٤—٨٩٦ م) أقبل على عمارة قصر أبيه وزاد فيه محاسن كثيرة ، وحوّل الميدان الفسيح إلى حديقة غنـاء زرع فيها أنواع الرياحين وأصناف الشجر وكسا أجسام النخيل نحاساً مذهباً حسن الصناعة . و بنى فى هذا البستان برجا من خشب الساج المنقوش المطعم ، وداراً أسماها « دار الذهب » كانت مجلساً له ، طليت جدرانها بالذهب ، ووصفها المؤرخون بأنها « من أعجب ما بنى فى الدنيا » وتحدث الشعراء عنها وأطنبوا فى مدحها .

هذه صورة لما كانت عليه الديار المصرية من الرخاء فى العصر الطولونى ، وما كانت عليه حاضرتهم من الإبداع والثراء . إلاّ أن ذلك لم يدم طويلا ،

= فى ميل . . . والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه . وكل قطيعة لطائفة فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك . فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التى بالقاهرة » . المقريزى — الخطط ١ ص ٣١٣ .

إذ أنه لما ضعف خلفاء « خمارويه » انتهز العباسيون هذه الفرصة وأرسلوا إلى مصر جيشاً بقيادة «محمد بن سليمان» هزم الطولونيين وهدم القطائع (٢٩٢هـ-٩٠٥م).

وليس شك فى أن أعمال التخريب التى قام بها العباسيون كان الغرض منها أن ينسى المصريون حاضرة بلادهم التى هى رمز استقلالهم ، لكنهم ارتكبوا إثماً عظيماً بهدم العمائر الطولونية الجميلة . ولم يبق دليل على زهاء العمارة الإسلامية فى هذا العصر غير المسجد الطولونى الجامع .

مسجد أحمد بن طولون

(٢٦٣ — ٢٦٥ هـ : ٨٧٦ — ٨٧٩ م)

تاريخ إنشاء المسجد :

اختلف فيه المؤرخون . فمن قائل أنه شُرع فى بنائه سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٣ — ٨٧٤ م) ، وذهب آخرون أن ابن طولون بدأ فى تشييده سنة ٢٦٤ هـ وتم فى سنة ٢٦٦ هـ (٨٧٩ — ٨٨٠م) . أما الذى لا شك فيه هو أن المسجد افتتح لإقامة الشعائر الدينية فى شهر رمضان سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ — ٨٧٩ م) كما يدل على ذلك نص منقوش على لوح من الرخام بالخط الكوفى البسيط :

« . . . بسم الله الرحمن الرحيم . أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون ، من خالص ما أفاء الله عليه وطيّبه لجماعة المسلمين ، ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة ، وإيثاراً لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين ، ورغبة فى عمارة بيوت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره .

إذ يقول الله تقدس وتعالى : فى بُيوت أذِنَ الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ، يُسبح له فيها بالغُدوّ والآصال رجال لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذِكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ليَجزِيَهم الله أحسن ما عملوا ويَزيدهم من فضله والله يَرزق من يشاء بغير حساب » .

فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين ... » (شكل ١)

أهمية هذا النص من الوجهة التاريخية :

١ — بيان العلاقة الودية بين الأمير أحمد بن طولون والخليفة العباسى .

٢ — التاريخ الذى افتتح فيه المسجد لإقامة الصلاة .

٣ - كان بعض المسلمين فى ذلك الوقت يعتقد أن ابن طولون بنى مسجده من مال حرام ، فغضب وأقسم بأن الأموال التى استخدمت فى تشييده هى من خالص ماله .

مهندس المسجد :

وقد اختُلف أيضاً فى جنسية مهندس المسجد . والمرَجّح أنه كان عراقياً حيث أن بناء المسجد الطولونى أقيم على نمط بناء مسجد سامرا الكبير الذى شيده الخليفة العباسى « المتوكل » فى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٩م) .

تخطيط المسجد : (شكل ٢)

المسجد وزياداته الخارجية تقريبا على شكل مربع (١٦٢ × ٤٦ر١٦٢ م) ، أى أن مساحته ٥ر٢٦٣١٨ م . م . وهى تقرب من ستة أفدنة ونصف . ويشغل المسجد ذاته مستطيلا كبيرا(٦ر١٢٢ × ٣٣ر١٤٠م). ويحيط به من الجهات الغربية والبحرية والقبلية زيادات عرض كل منها ١٩ مترا . أما الجهة الشرقية فكانت تقع فيها دار الإمارة[1] . وللمسجد صحن مكشوف عبارة عن مربع طول ضلعه ٩٢ مترا تقريبا ، وتحيط به من الجهات الغربية والبحرية والقبلية إيوانات

(١) الحكمة فى هذه الزيادات المكشوفة أنها تضم المصلين حين يكتظ المسجد بهم وتعزلهم عن الضوضاء فى الخارج . ولهذه الزيادات نظير فى مسجد سامرا الكبير .

يتكون كل منها من رواقين عرضهما ٢٥ر١٣ مترا . أما إيوان القبلة (بيت الصلاة) فيتكون من خمسة أساكيب وسبعة عشر رواقاً .

مواد البناء :

يمتاز المسجد الطولونى ببنائه من الآجرّ الذى تكسوه طبقة سميكة من الجصّ . ولم تستخدم الأحجار فى بنائه مع أنه بالقرب من جبل المقطم حيث تتوافر تلك المادة . وقيل فى ذلك أن ابن طولون أراد أن ينقل إلى مصر عادة شائعة فى البناء فى العراق .

ويحدثنا المقريزى أن أحمد بن طولون قال : «أريد أن أبنى بناء إن احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يُجعل فيه أساطين رخام فإنه لا صبر لها على النار . فبناه هذا البناء وعمل فى مؤخره ميضة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة . وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة وعَلَّق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية[1] ... »

الأسوار والأبواب : (شكل ٣)

للمسجد أسوار وللزيادات الخارجية أسوار أقل فى الارتفاع ، عليها شرفات مفرغة تشبه ألسنة اللهب . وبهذه الأسوار أبواب يقابل كلا منها باب من أبواب المسجد . وقد رأى الرحالة الفارسى « ناصرى خسرو » هذه الأسوار فى سنة ٤٣٩ هـ فقال إنها على جانب عظيم من الحسن . وكانت أبواب المسجد اثنتين وأربعين بعضها بجدران الزيادات الخارجية والبعض الآخر بجدران المسجد ذاته[2] .

---

(١) المقريزى : الخطط — ج ٢ . ص ٢٦٧ .

(٢) بالأسوار الخارجية ٢١ بابا وبجدران المسجد ١٩ بابا ، عدا بابين صغيرين بجدار القبلة .

الطاقات : (شكلا ٤، ٥)

بالجزء العلوى من جدران المسجد الطولونى مجموعة من الشبابيك الجصّية ذات الأشكال الهندسية الجميلة ، وهى على شكل العقود الكبيرة الداخلية أى أنها مدببة متجاوزة ، ومرفوعة على عمودين قصيرين متخذين فى نفس البناء ، وتحيط بتلك العقود إطارات قوامها كتابات كوفية وزخارف نباتية (شكل ٤) .

ويغلب على الظن أن معظم تلك الطاقات يرجع إلى العصر الذى قام فيه أحد سلاطين المماليك البحرية وهو « حسام الدنيا والدين لاچين » المنصورى بإصلاحات كثيرة فى المسجد الطولونى (٦٩٦هـ : ١٢٩٦م) .

وقد أوضح الأستاذ Greswell أن بجدار القبلة ثلاث طاقات ترجع إلى العصر الطولونى زخارفها الجصية من طراز خاص عبارة عن دوائر متشابكة . ويُرى هذا الشكل فى زخرفه بواطن بعض العقود (شكل ٥) .

الدعائم (شكلا ٦، ٧)

ويمتاز المسجد الطولونى بميزة معمارية أخرى وهى الدعائم . فقد كانت سُقُف المساجد قبل ذلك تقام على عقود تحملها أعمدة ، فرفعها ابن طولون على دعائم مبنية من الآجر . وكان يتطلب بناؤها على عمد ثلثمائة عمودا . ولم يرض ابن طولون انتزاع هذه الأعمدة من الكنائس القائمة فى عهده . ثم أنه ذلل بذلك المصاعب التى كان يلاقيها بناة المساجد من اختلاف ارتفاع الأعمدة وأحجامها وعدم كفايتها لرفع السقف .

وهذه الدعائم عنصر معمارى ظهر لأول مرة فى مصر فى المسجد الطولونى ، نقله ابن طولون إلى مصر من العراق حيث استخدم فى مسجد سامرا الكبير .

ومما يزيد فى بهاء تلك الدعائم ما يندمج فى زواياها من عمد لطيفة من الآجر تنتهى بتيجان مستديرة على هيئة النواقيس ، تكسوها زخارف نباتية جميلة .

العقود : (شكل ٨)

وعقود المسجد الطولونى ميزة أخرى من مميزاته المعمارية . وهى عقود منكسرة متجاوزة قطرها ٤ر٥٦ مترا وارتفاعها ٣ر٧٠ متراً .

و بين العقود طاقات صغيرة يصل ارتفاعها إلى مستوى قمة العقود .

وتزيد تلك الطاقات المظهر بهاء والأروقة ضوءاً وهواءاً ، كما يخف بها ضغط البناء على الدعائم .

المحراب الكبير : (شكل ٩)

يتوسط محراب ابن طولون جدار القبلة ، وهو مجوف يكتنفه من كل من جانبيه عمودان من الرخام مرتد أحدهما عن الآخر . وتيجان تلك الأعمدة من الرخام المفرغ كل اثنين منهما متشابهان ، وهى دقيقة الصنع من الطراز البيزنطى القديم .

أما تجويف المحراب فتكسوه ألواح رقيقة من الرخام الملون . والألواح ليست عريضة ومصفوفة صفاً طولياً . وتعلو تلك الكسوة الرخامية منطقة من الفُسَيْفِساء مكونة من فصوص من الزجاج على شكل الزهور الملتفة والأوراق ، ومكتوب فيها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بمادة سوداء رقيقة كالزجاج . وليس من شك فى أن هذه الفسيفساء ، والكسوة الرخامية تعديلات

أدخلت على زخرفة المحراب بعد العصر الطولونى ، ويغلب على الظن أنها ترجع إلى عصر السلطان « حسام الدنيا والدين لاچين المنصورى » .

ومن أهم مايلفت النظر فى هذا المحراب الكتابة الكوفية المتوج بها لأنها جميلة للغاية ، وقد حفرت على لوح من الخشب سمكه ثلاثة سنتيمترات . وهى من الكوفى البسيط ونصها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وتعلو المحراب قبة صغيرة من الخشب محمولة على مقرنصات ويرجح أن تكون ضمن الإصلاحات التى قام بها السلطان لاچين فى المسجد .

المحراب المستنصرى (شكل ١٠)

وبالمسجد الطولونى محاريب أخرى أهمها المحراب المستنصرى . وهو محراب غير مجوف مصنوع من الجص ، شيد فى عصر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (١٠٣٦ — ١٠٩٤ م) . وتحيط به من ثلاث جهات كتابة كوفية جميلة من نوع جديد وهو الكوفى المُشَجَّرُ . ومنقوش عليه شكل العقد الفاطمى (العقد الفارسى) قائما على عمودين . وفوق هذا العقد صورة هلال يحيط به إطار بديع من الزخارف الهندسية .

المنبر (شكلا ١١، ١٢)

ليس المنبر الحالى من العصر الطولونى . فقد نقل السلطان « لاچين » المنبر القديم إلى مسجد آخر ، ووضع مكانه منبرا جديداً كما يدل على ذلك نص تاريخى بالخط النسخ يشاهد على المدخل :

« أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين المنصورى فى العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة » .

وقد صنع هذا المنبر من خشب الساج الهندى والأبنوس ، وعليه نماذج رائعة من الزخرفة العربية ، و يمكن اعتباره من التحف الفنية النادرة .

الفوارة :(شكلا ١٣، ١٤)

كان فى وسط المسجد حوض تتوسطه فوارة لها قبة نقشت عليها أبراج الشمس كى يستعان بها فى معرفة مواقيت الصلاة . وكان الغرض منها تجميل بهو المسجد إذ كانت مرفوعة على عشرة أعمدة رشيقة من الرخام يحيط بها ستةعشر عموداً . ولم تستخدم تلك الفوارة للوضوء لأن ابن طولون كان قد أعد لهذا الغرض ميضأة فى الزيادة الغربية .

وقد أقيم مكان تلك الفوارة بناء من الحجر للوضوء تعلوه قبة . ويرجع تاريخ إنشاء هذه الميضأة إلى عصر السلطان لاچين كما يدل على ذلك النقش التاريخى الآتى :

« أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاچين المنصورى فى سنة ست وتسعين وستمائة » .

المئذنة : (شكل ١٥)

يمتاز المسجد الطولونى بمئذنته الغريبة الفريدة فى شكلها بين المآذن فى مصر .

فسلمها الحلزونى من الخارج ، وتتكون من ثلاثة طوابق مختلفة الشكل .

فالقاعدة مربعة والطابق الثانى أسطوانى والعلوى مثمن . ويبلغ ارتفاعها ٤٠ متراً تقريبا .

وقيل إن هـذه المئذنة كانت تظهر بالمظهر الذى عليه مئذنة مسجد سامرا الكبير والتى تسمى بالملوية . (أشكال ١٦، ١٧ ، ١٨)

ويغلب على الظن أن المئذنة الطولونية هدمت وأعيد بناؤها فى عهد السلطان لاچين مع بقاء سلمها الحلزونى من الخارج كما كان فى الزمن السابق وذلك للأسباب الآتية :

١ — بناؤها من الحجر وهى مادة لم تستخدم قط فى بناء المسجد الطولونى .

٢ — أن قاعدتهـا المربعة بهـا عقـــود مزدوجة من نوع لم يكن معروفاً فى مصر فى القرن التاسع الميلادى وهو العقـــد المستدير المتجاوز (round horse—shoe arch) .

الزخارف : (أشكال ١٩ ، ٢٠ ، ٢١)

يمتاز المسجد الطولونى بزخارفه الجصية المنوعة . ويرى منها إطارات تحيط بالعقود وبواطنها وهى عبارة عن أشـكال متشابهة ومكررة من غصون النبات وأوراقه والأشـكال الهندسية التى تـكثر فيها الدوائر المتقاطعة .

أما واجهات العقود المطلة على الصحن فيعلوها إفريز قوامه صُرر تحوى زخارف هندسية مختلفة . ويقوم مقام الإطارات التى تحيط بالعقود والطاقات فى الأروقة صُرر فى خواصر العقود على جانبى كل طاقة . (شـكلا ٢٢ ، ٢٣ ويراجع شـكل ١٣) .

ويلاحظ أن تلك الزخارف لم تصب فى قوالب كزخارف قصر الحمراء بالأندلس وإنما هى من نقش صناع فنيين على جانب عظيم من المهارة .

* * *

وهناك نص تاريخى بالكوفى الجميل المزهر منقوش على لوح من الرخام بأعلى الباب الأخير فى الزياده البحرية يدل على تجديد هذا الباب فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فى سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ... نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بتجديد هذا الباب ومايليه عند عدوان النار على ماأبدعه المارقون فيه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبوالنجم بدر المستنصرى . أدام الله قدرته وأعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته . وذلك فى صفر سنة سبعين وأربعمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليما » .

ولتلك الكتابة أهميتها من الناحية التاريخية . فهى تشير إشاره خفية إلى الحروب الداخلية بين الجند السودانيين والأتراك فى عهد المستنصر والتى تغلب فيها الترك وطردوا أعداءهم إلى الوجه القبلى فأصبح الصعيد كله فى قبضة السودانيين . واستولى الترك والبربر على الوجه البحرى وخربوه .

ونهب الجند الأتراك قصر المستنصر ونفائسه وبددوا المكتبة الكبرى وكان بها ما يربو على مائة ألف كتاب من أنفس الكتب فى شتى العلوم .

وضاق المستنصر ذرعا بمساوىء الجند سيما الأتراك فاستقدم بدر الجمالى حاكم عكا فحضر بجنده وأمرهم باغتيال زعماء الترك فى ليلة واحدة فاستراح العباد من شرهم سنة ١٠٧٤ م . وأطلق الخليفة يد بدر الجمالى فى جميع الأمور ، فأعاد لقصر الخليفة كل ما عثر عليه من نفائسه السالفة ثم فتح البلاد من جديد وخلص الدلتا من البربر والصعيد من السودانيين .

والظاهر أن بعض الثائرين وقد أسماهم المقريزى بالمارقين توصلوا إلى المسجد وتحصنوا فيه لمناعة موقعه فحوصروا وأحرق بسبب ذلك جزء منه جدّده بدر الجمالى سنة ٤٧٠ هـ . ولما تم له ذلك أشار إلى هذه الحوادث فى الكتابة التى دونها تذكارا لعمارته(١) .

* * *

يتضح مما تقدم أن المسجد الطولونى يمتاز :

١ — بأنه أقدم الآثار الإسلامية فى مصر وأكثرها اتساعا .

٢ — بزياداته الخارجية غير المسقوفة .

٣ — ببنائه من الآجر .

٤ — بدعائمه السميكة التى بجنباتها أشباه أعمدة من الآجر .

٥ — بعقوده المنكسرة المتجاوزة .

٦ — بمئذنته الغريبة ذات السلم الحلزونى من الخارج .

٧ — بزخارفه المنوعة المحفورة فى الجص .

إن دراسة هذا المسجد ممتعة حقاً وهامة من عدة وجوه . فمن الناحية التاريخية نجد أن البناء كان موضع عناية من جانب الخلفاء الفاطميين سيما المستنصر .

على أن عصر السلطان « لاچين » يعتبر بحق العصر الذهبى للمسجد لما قام به من إصلاحات عديدة .

وقد تدهورت حال المسجد فى العصر العثمانى ولحق به تلف كبير وبخاصة أثناء الحروب الداخلية بين طوائف الجند المختلفة . فقد اتخـذ فى ذلك الوقت مقرّا لقيادة أحد زعماء المماليك . وكان مصنعاً لعمل الأحزمة الصوفية فى عصر محمد بك أبو الدهب من زعماء المماليك فى العصر العثمانى . كما استخدم فى عهد محمد على تكية للفقراء على يد كلوت بك ولحق به تلف كبير .

أما من الناحيتين المعمارية والزخرفية فقد تأثر المسجد الطولونى إلى حد كبير بمسجد سامرا الكبير .

(١) المقريزى — الخطط ١ — ص ٣٨١ — ٣٨٢ .

و بالمسجد الطولونى مجموعة كبيرة من الزخارف تمثل عصورا مختلفه : الطولونى والفاطمى والمملوكى . وهى بذلك تمكن الباحث من تتبع تطورات الزخرفة الإسلامية فى أزمنة مختلفة .

وما يقال فى تطور الزخرفة ينطبق على تطور فن الكتابة التى هى نوع من الزخرفة الإسلامية . فنرى بالمسجد نماذج من الخط الكوفى البسيط فوق المحراب والكوفى المشجر فى المحراب المستنصرى والنسخ على مدخل المنبر والواجهة الشرقية للميضأة .

ولا ننسى أخيراً أن المسجد الطولونى كان له أثره فى العمائر التى شيدت فى مصر فيما بعد من حيث التخطيط ومواد البناء والعناصر المعمارية والزخرفية .

* * *

المراجع

١ — المقريزى — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — جزءان — طبع بولاق — ١٢٧٠ هـ .

٢ — ابن إياس — بدائع الزهور فى وقائع الدهور — جزءان — طبع بولاق — ١٣١١ هـ .

٣ — محمود عكوش — تاريخ ووصف الجامع الطولونى — القاهرة — ١٩٢٧ .

٤ — زكى محمد حسن — الفن الإسلامى فى مصر — القاهرة — ١٩٣٥ .

٥ — حسن عبد الوهاب — تاريخ المساجد الأثرية — جزءان — القاهرة — ١٩٤٦ .

1— Briggs (M.S.) : Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924.

2— Hautecoeur (L.) et Wiet (G.) : Les Mosquées du Caire, 2 vol., Paris. 1932.

3— Hassan (Z.) : Les Tulunides, Paris, 1933.

4— Creswell (K.A.C.) : Early Muslim Architecture, II, Oxford, 1940.

5— Marçais (G.) : L'Art de L'Islam, Paris, 1946.

6— Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe; publications de L'Institut Français d'Archéologie Orientale.

7— Bulletin du Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe.

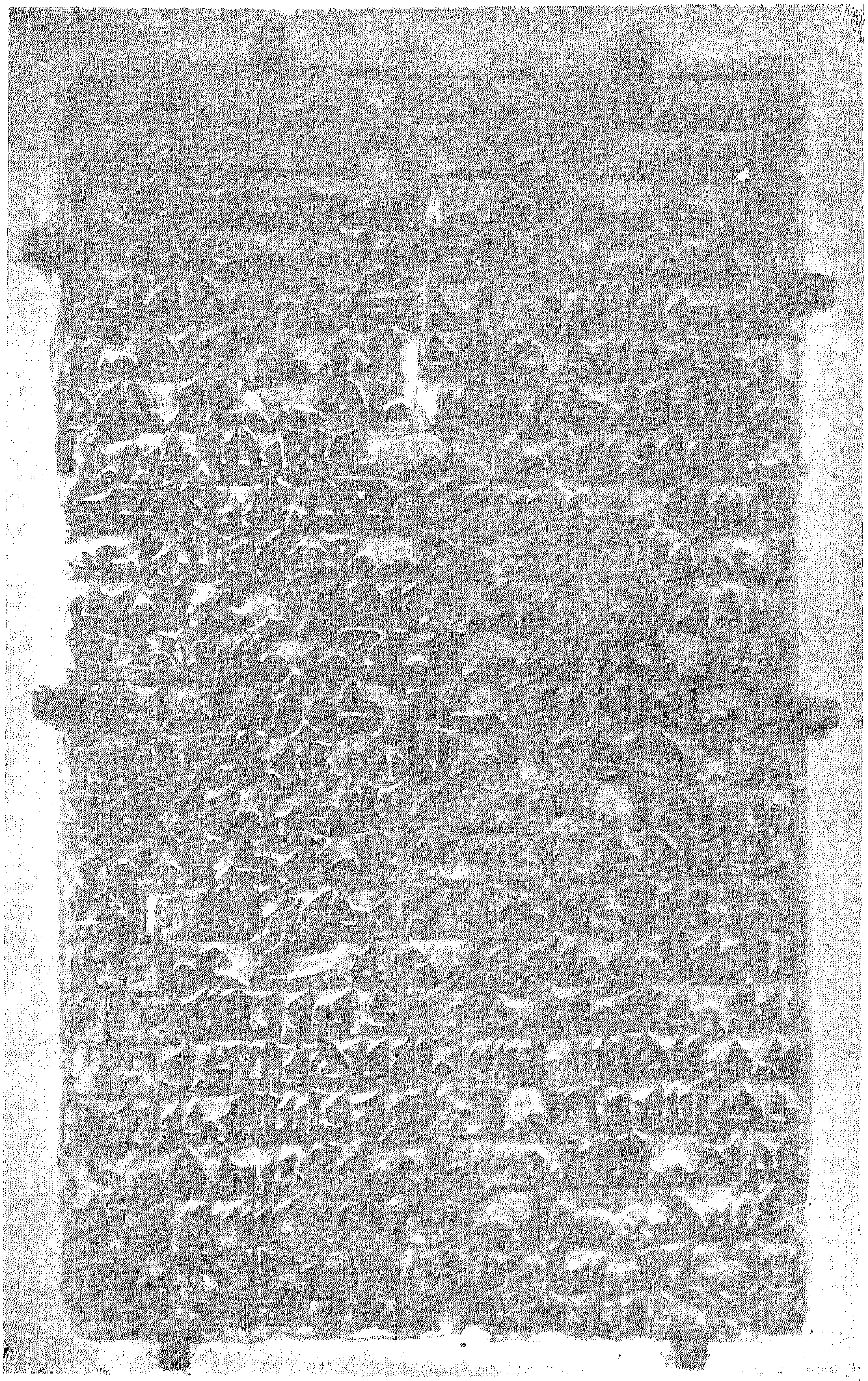

شكل ١ : اللوحة التذكارية وعليها النص التاريخى بالخط الـكوفى البسيط ويتضمن تاريخ افتتاح المسجد للصلاة واسم منشئه .

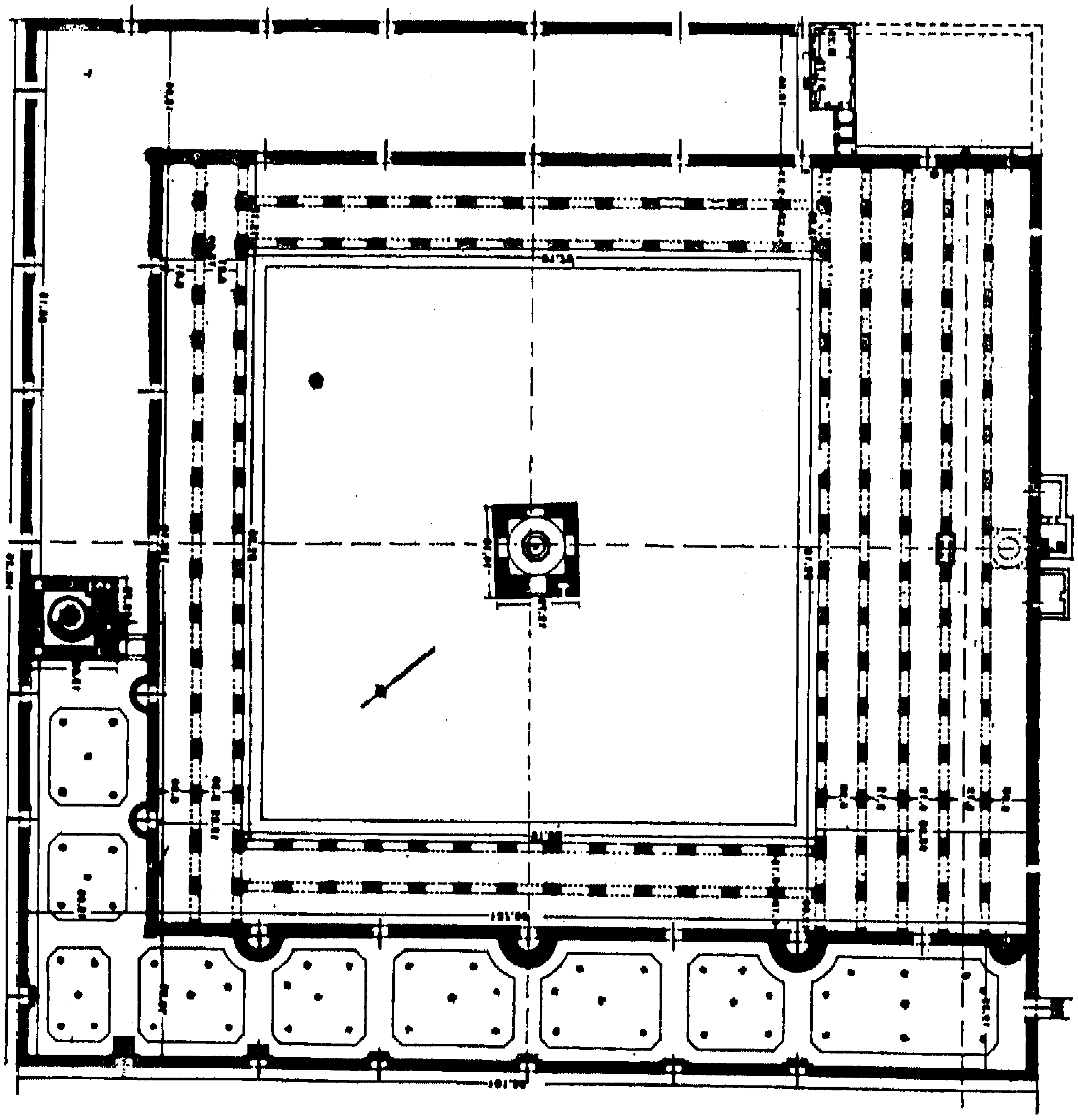

شكل ٢ : التخطيط ويبين الدعائم والزيادات الخارجية .

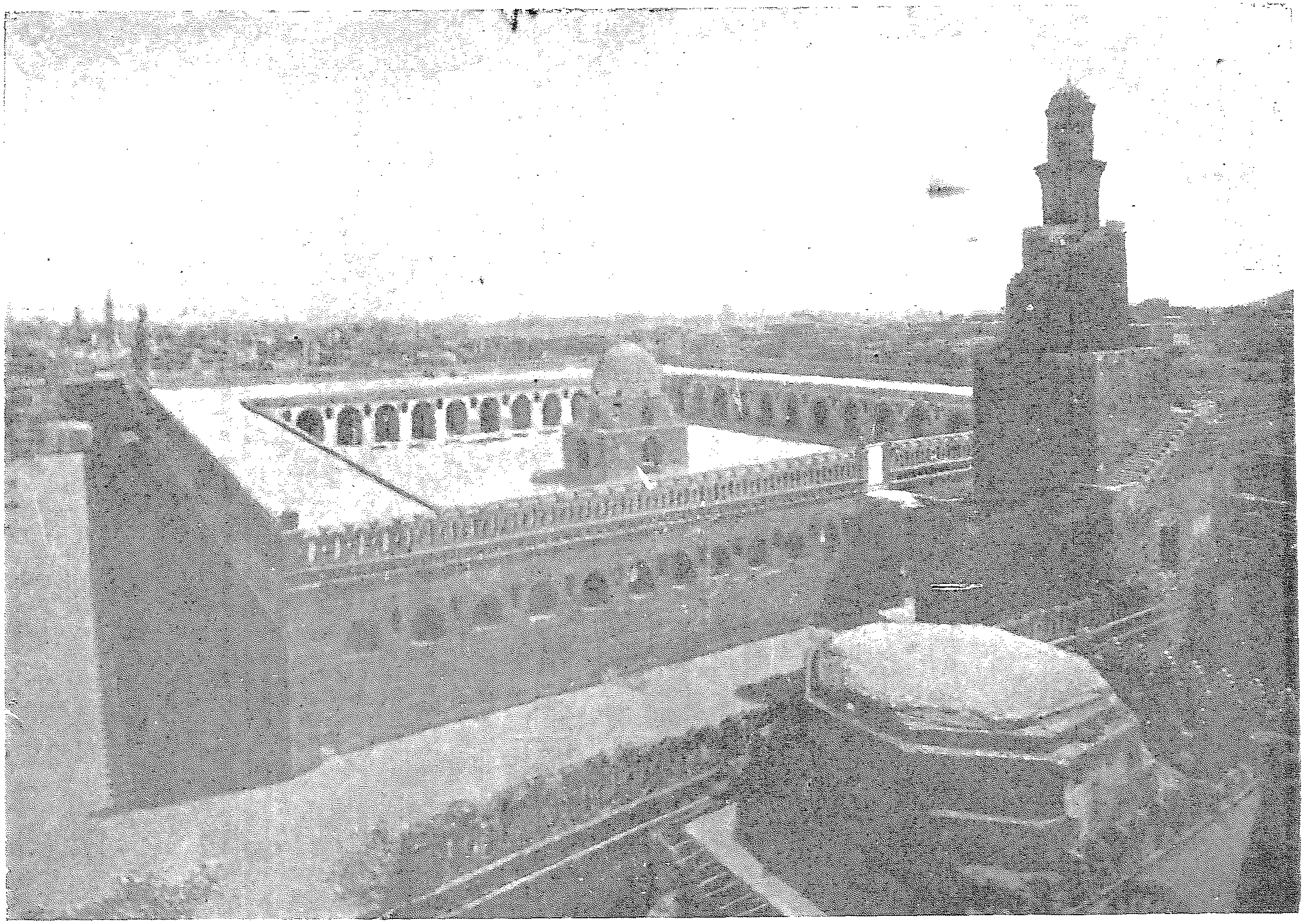

شكل ٣ : منظر عام يبين المئذنة والأسوار والشبابيك والشرفات والميضأة والعقود .

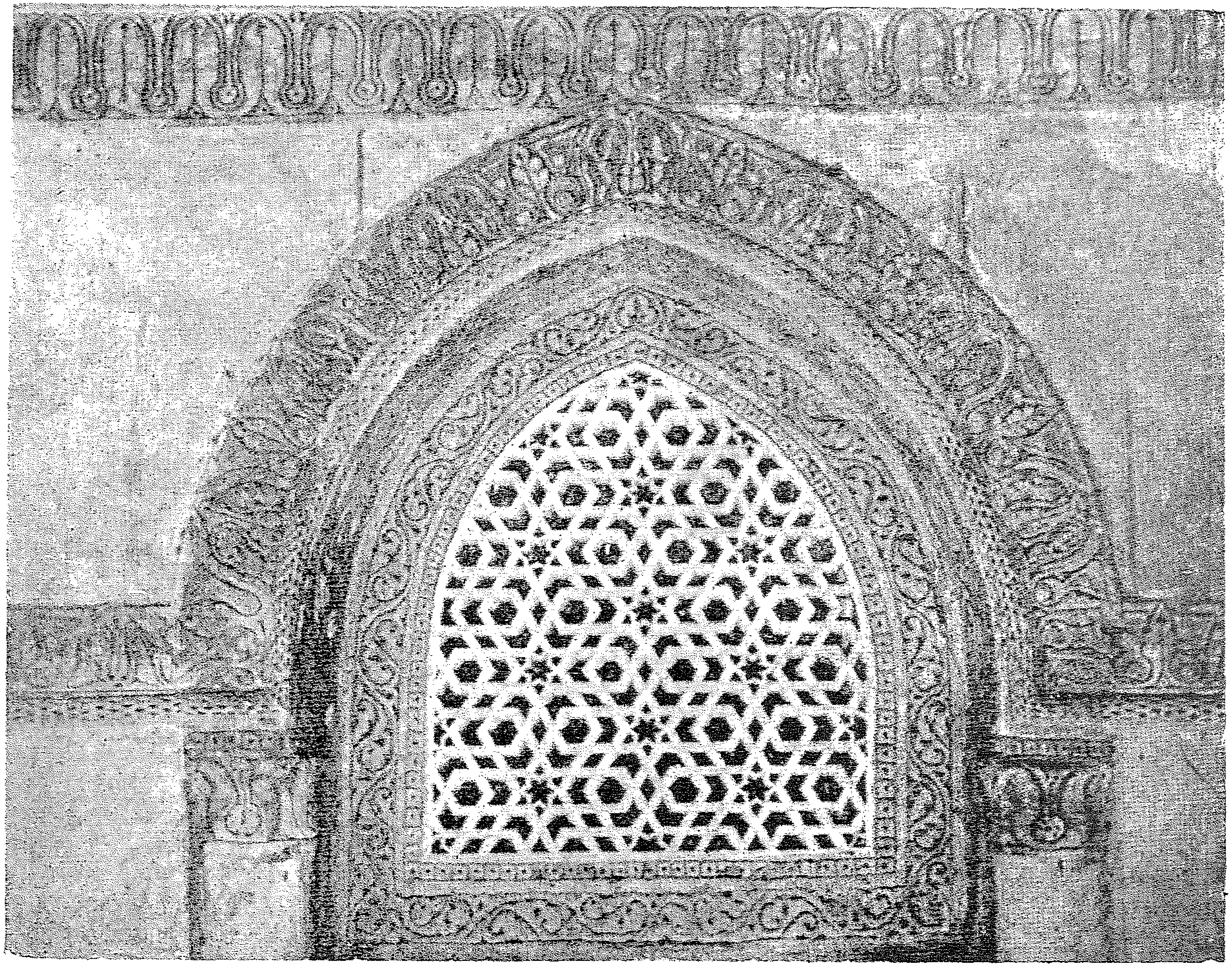

شكل ٤ : شباك من عصر « لاجين » تتكون زخارفه الهندسية من مضلعات ونجوم .

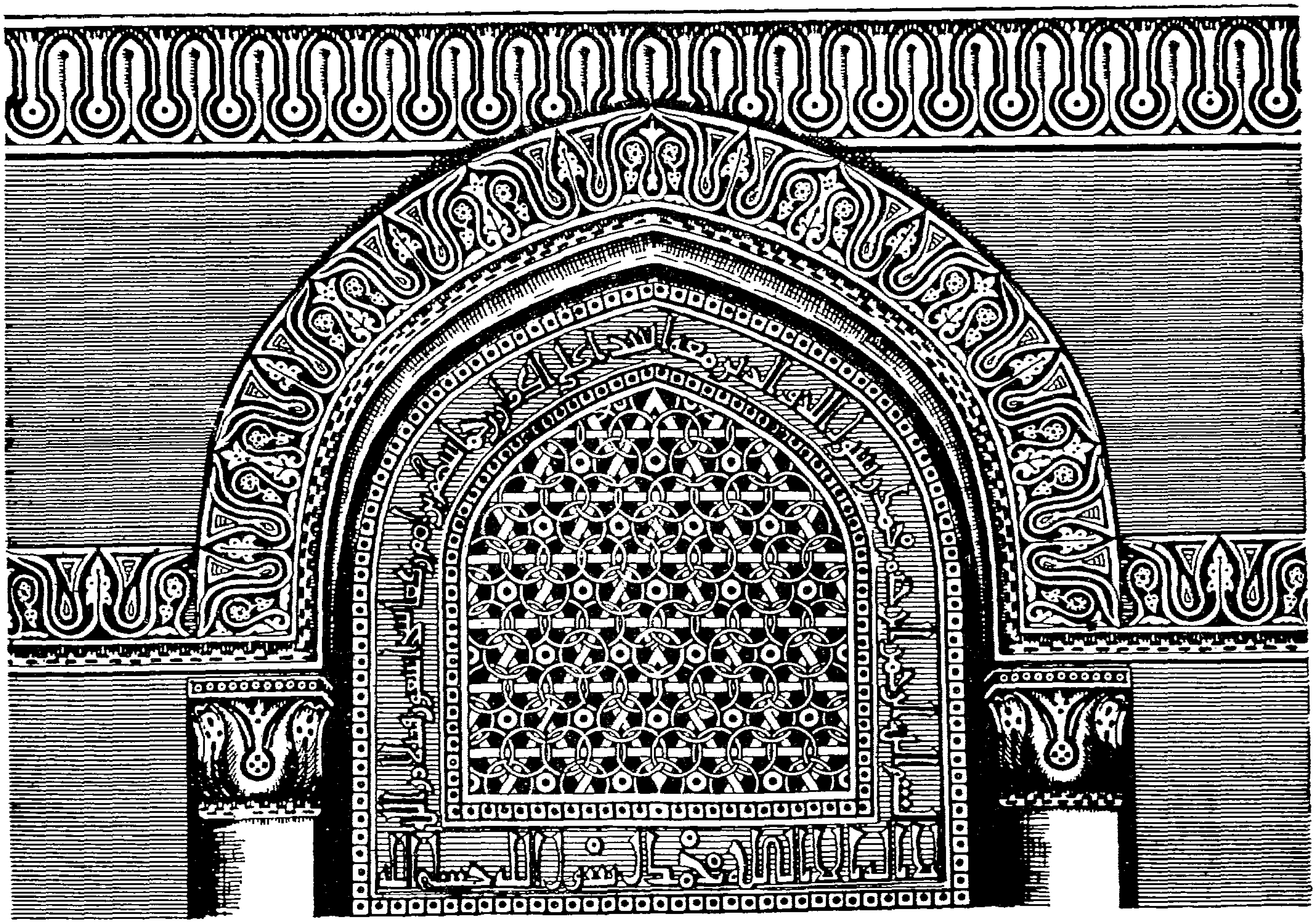

شكل ٥ : شباك من العصر الطولونى زخارفه الجصية البديعة عبارة عن دوائر ومستقيمات متقاطعة .

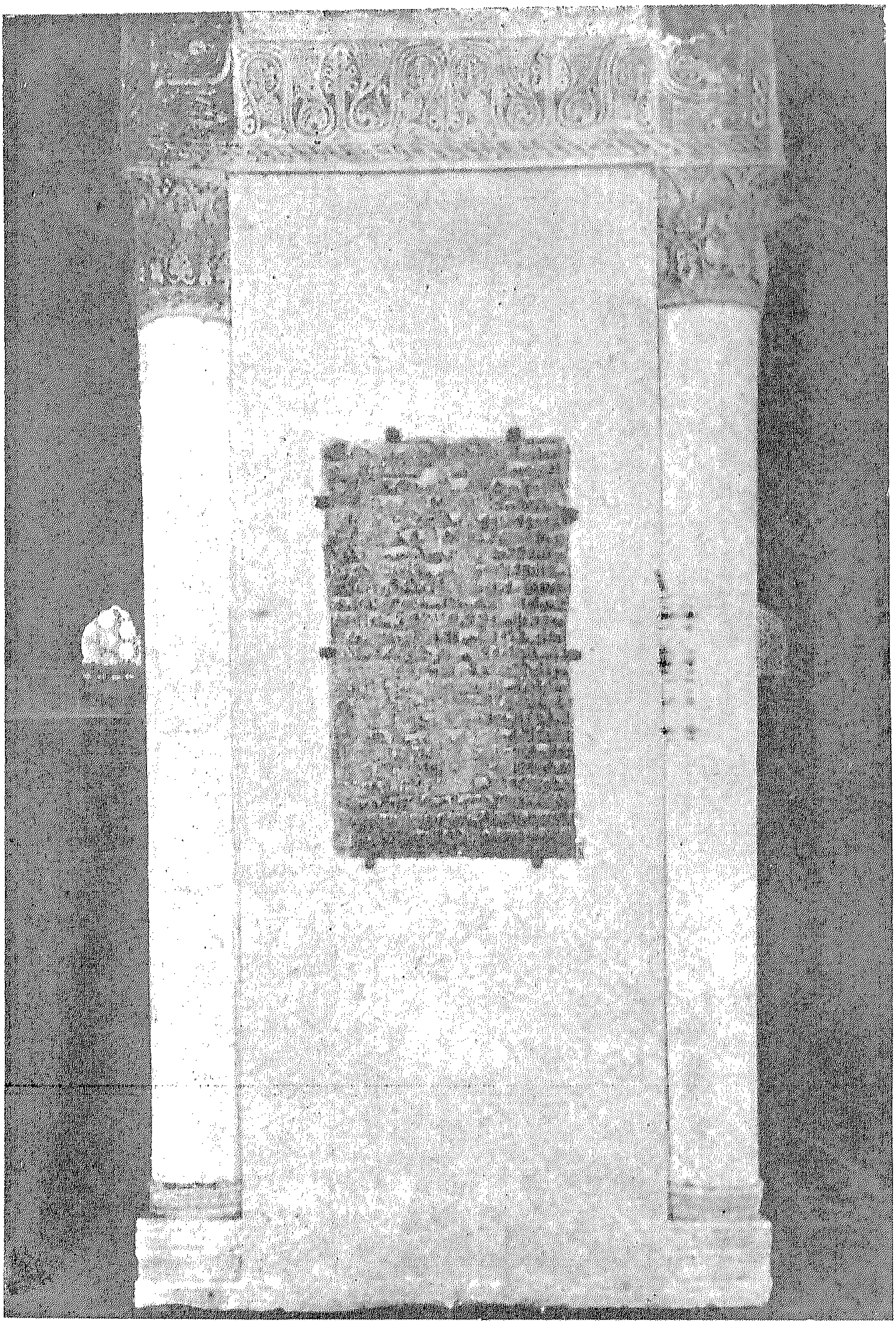

شكل ٦ : إحدى الدعامات ويجنباتها أشباه أعمدة تحلى تيجانها زخارف نباتية . ونشاهد اللوحة التذكارية على تلك الدعامة .

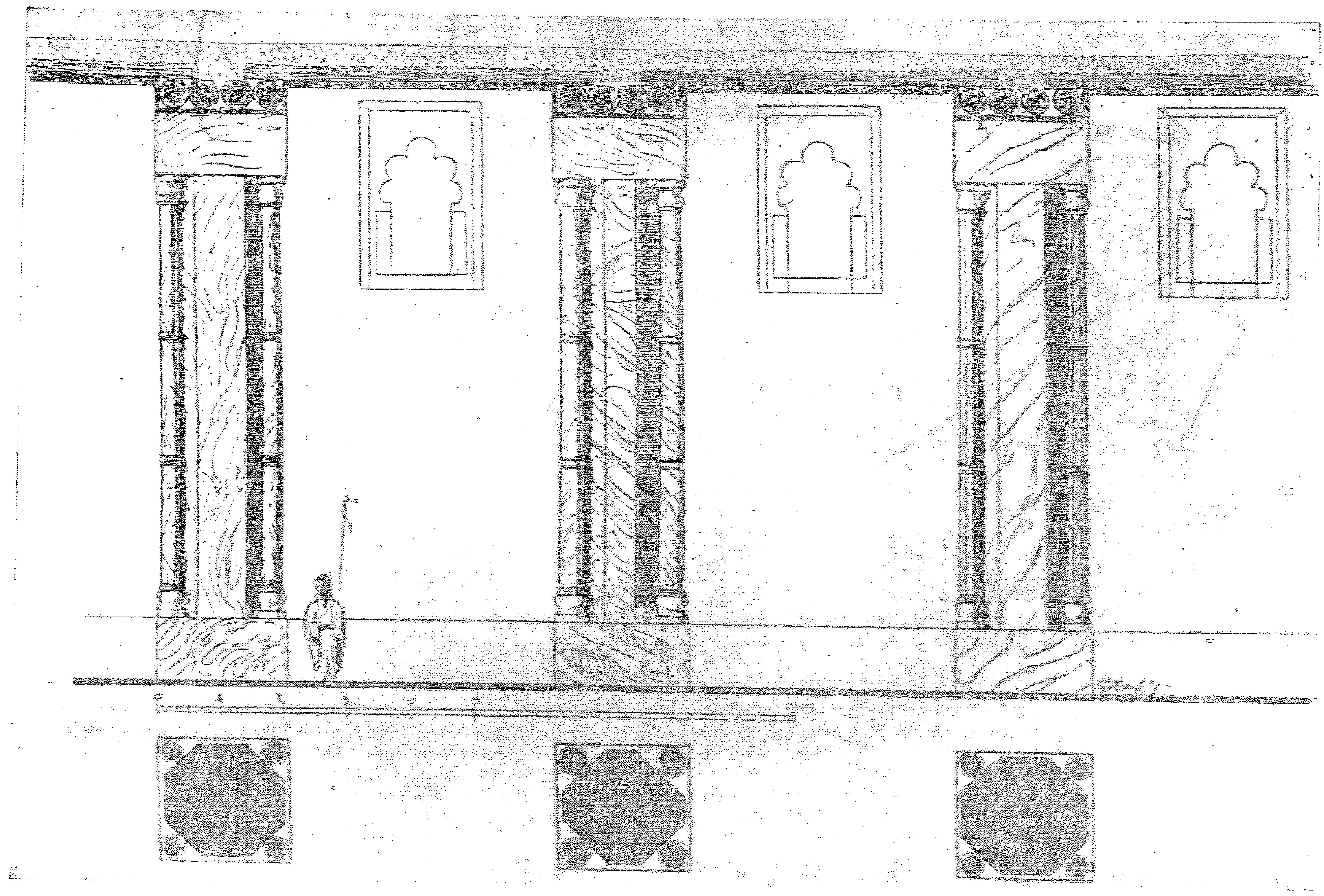

شكل ٧ : بعض دعائم مسجد سامرا الكبير وفى جنباتها أعمدة رفيعة من الرخام وهى مثمنة الشكل وكانت ترتكز عليها سقف المسجد مباشرة دون عقود .
أما فى المسجد الطولونى فيرتكز السقف على عقود تحملها دعائم فى زواياها أشباه أعمدة من الآجر .

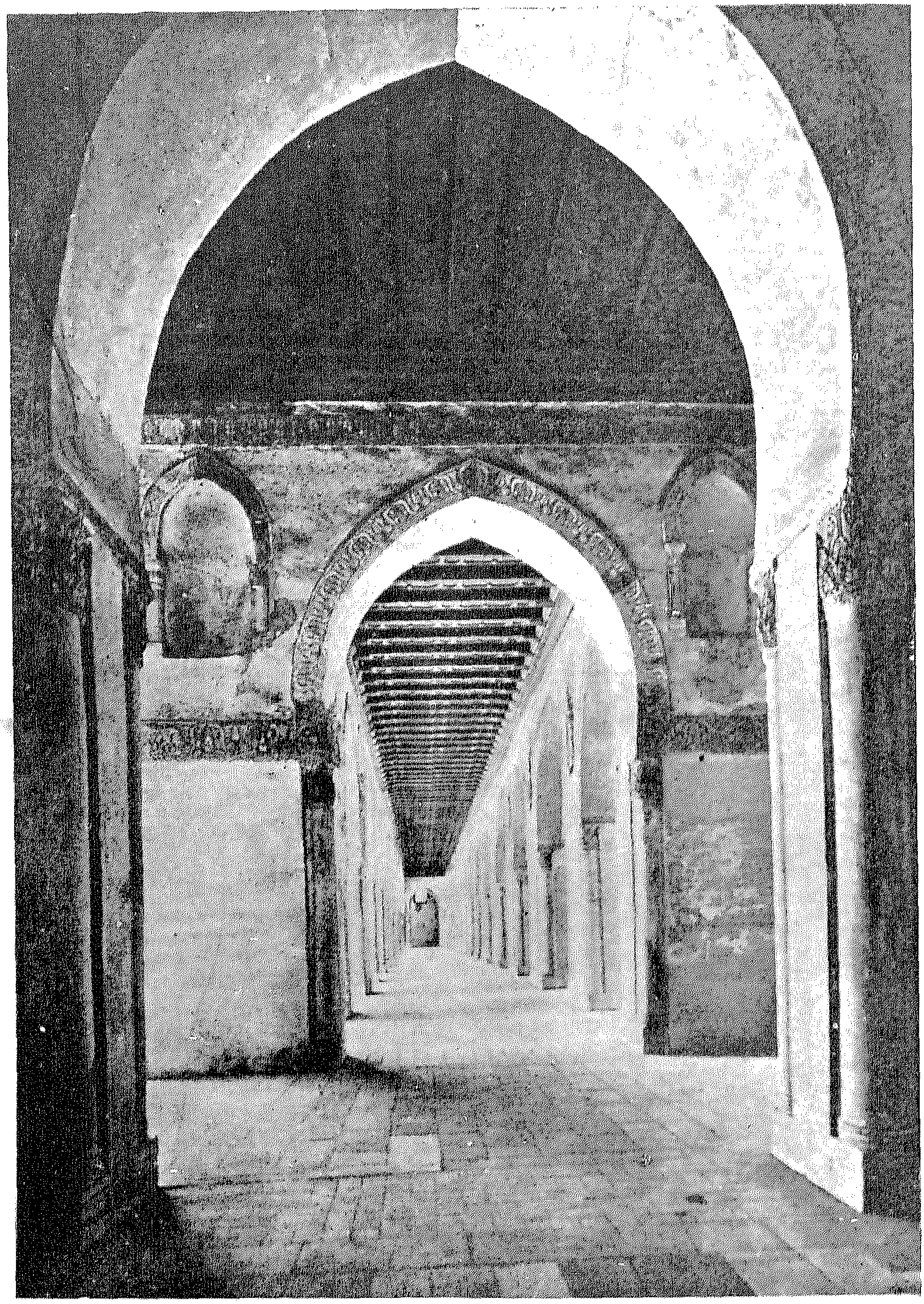

شكل ٨ : أحد الأروقة وترى العقود المدببة المتجاوزة التى ترتكز على دعامات سميكة مستطيلة .

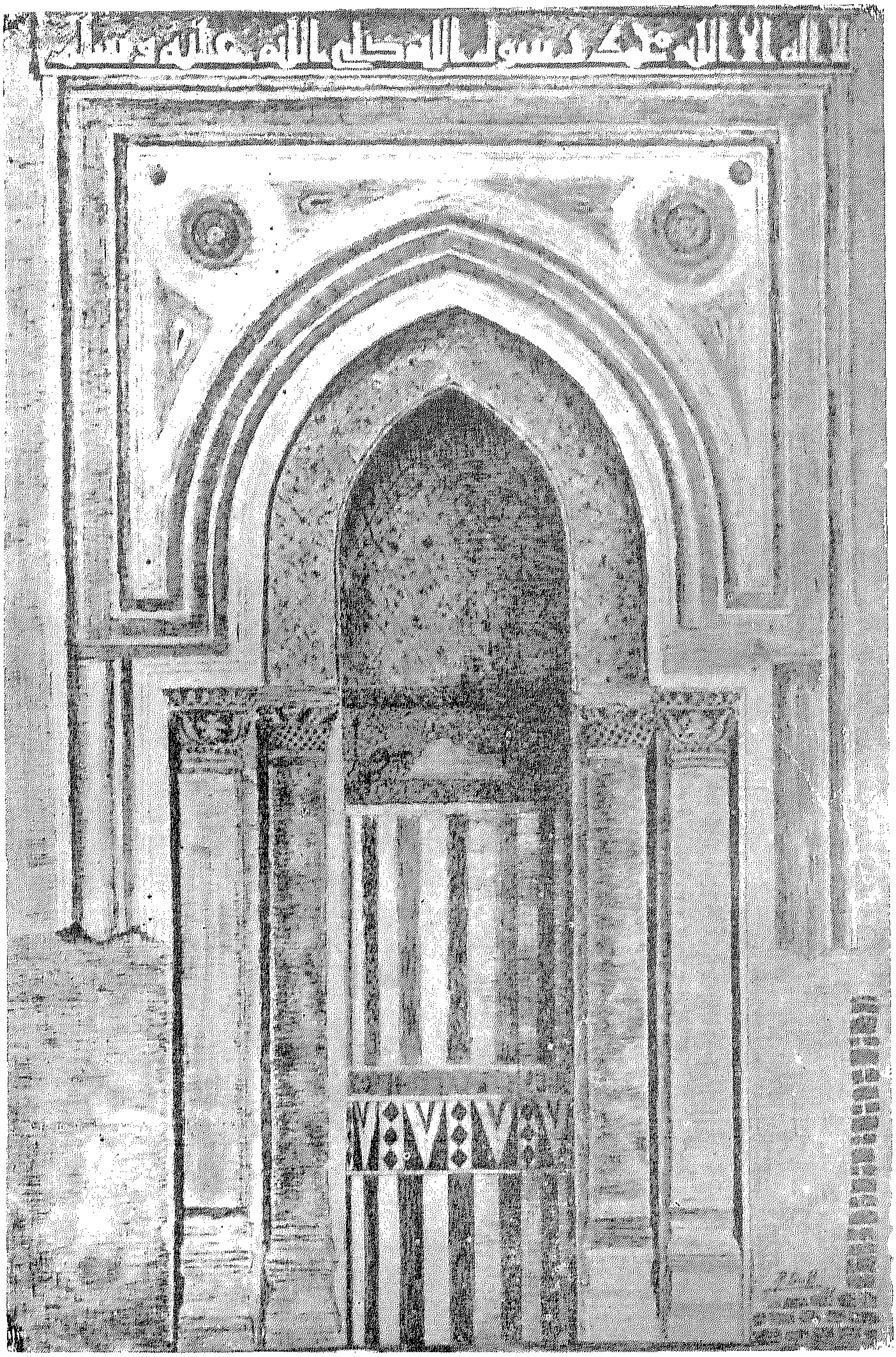

شكل ٩ : المحراب الطولوني وعلى كل من جانبيه عمودان من الرخام من العصر البيزنطي . ويبين الشكل الكسوة الرخامية ومنطقة الفسيفساء الزجاجية وإفريز من الخط الكوفي البسيط .

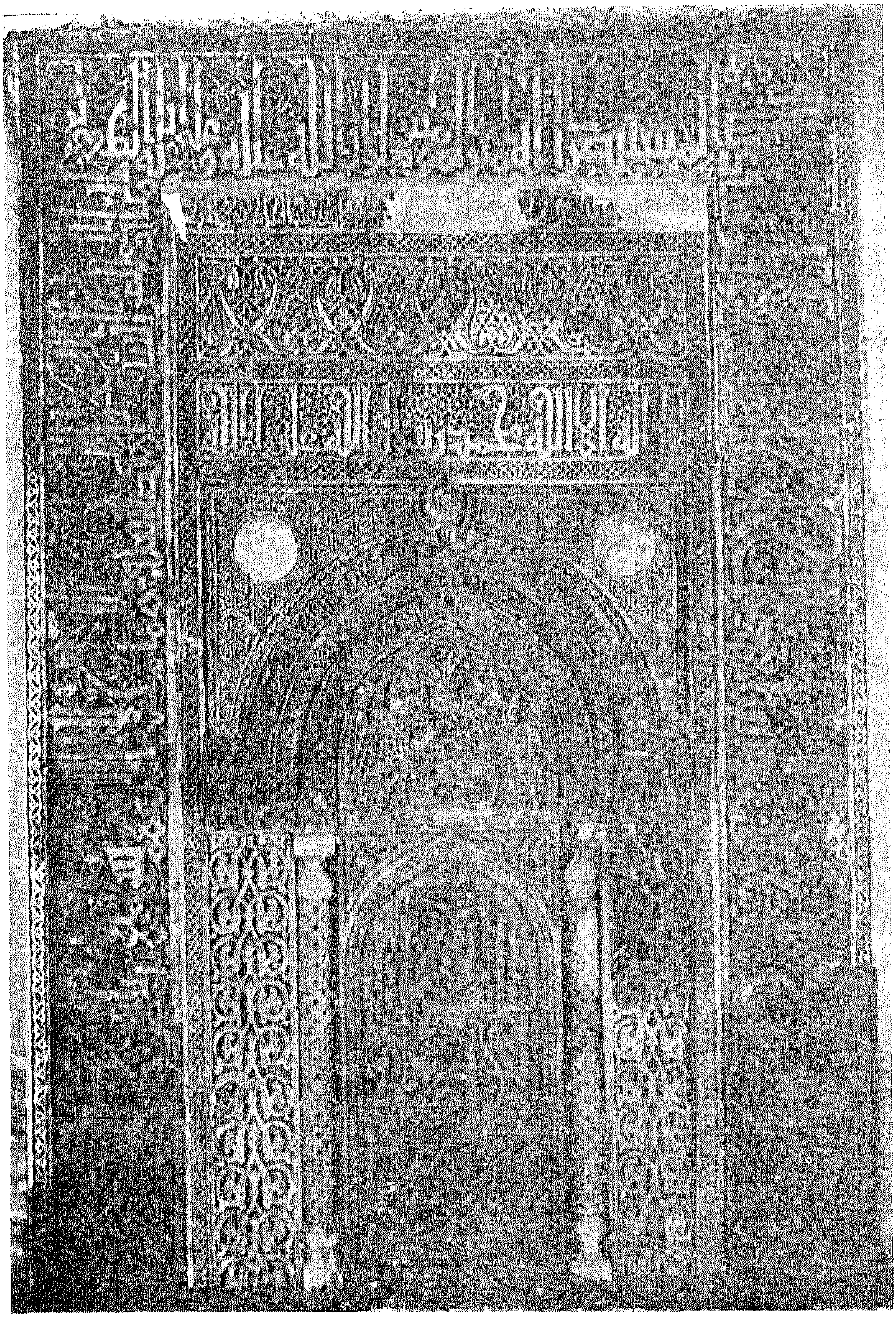

شكل ١٠ : المحراب المستنصرى وعليه أفاريز من الخط الكوفى المشجر تتضمن اسم منشئه .

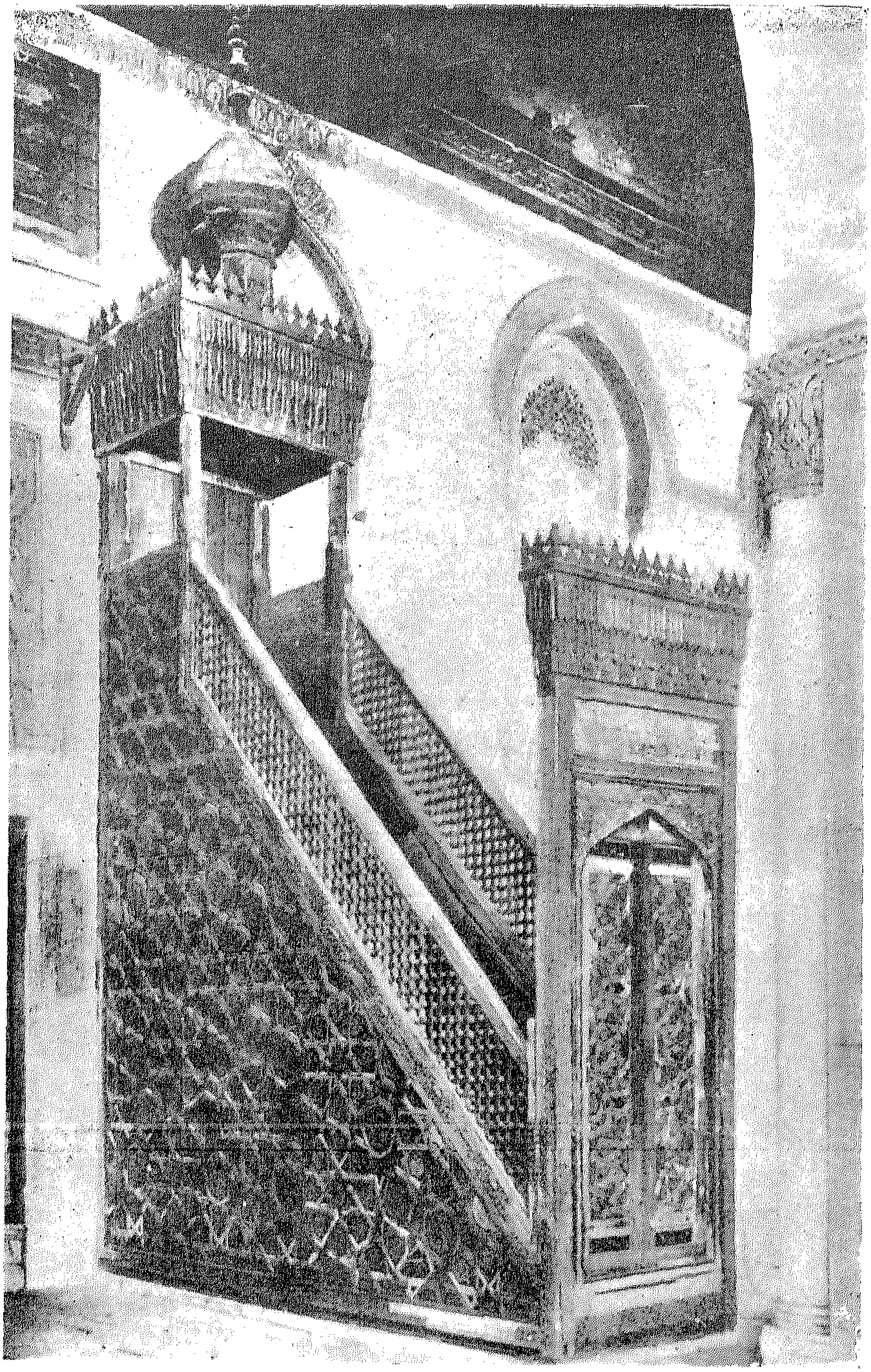

شكل ١١ : المنبر وقد كتب فوق مدخله اسم المنشىء وتاريخ الإنشاء .

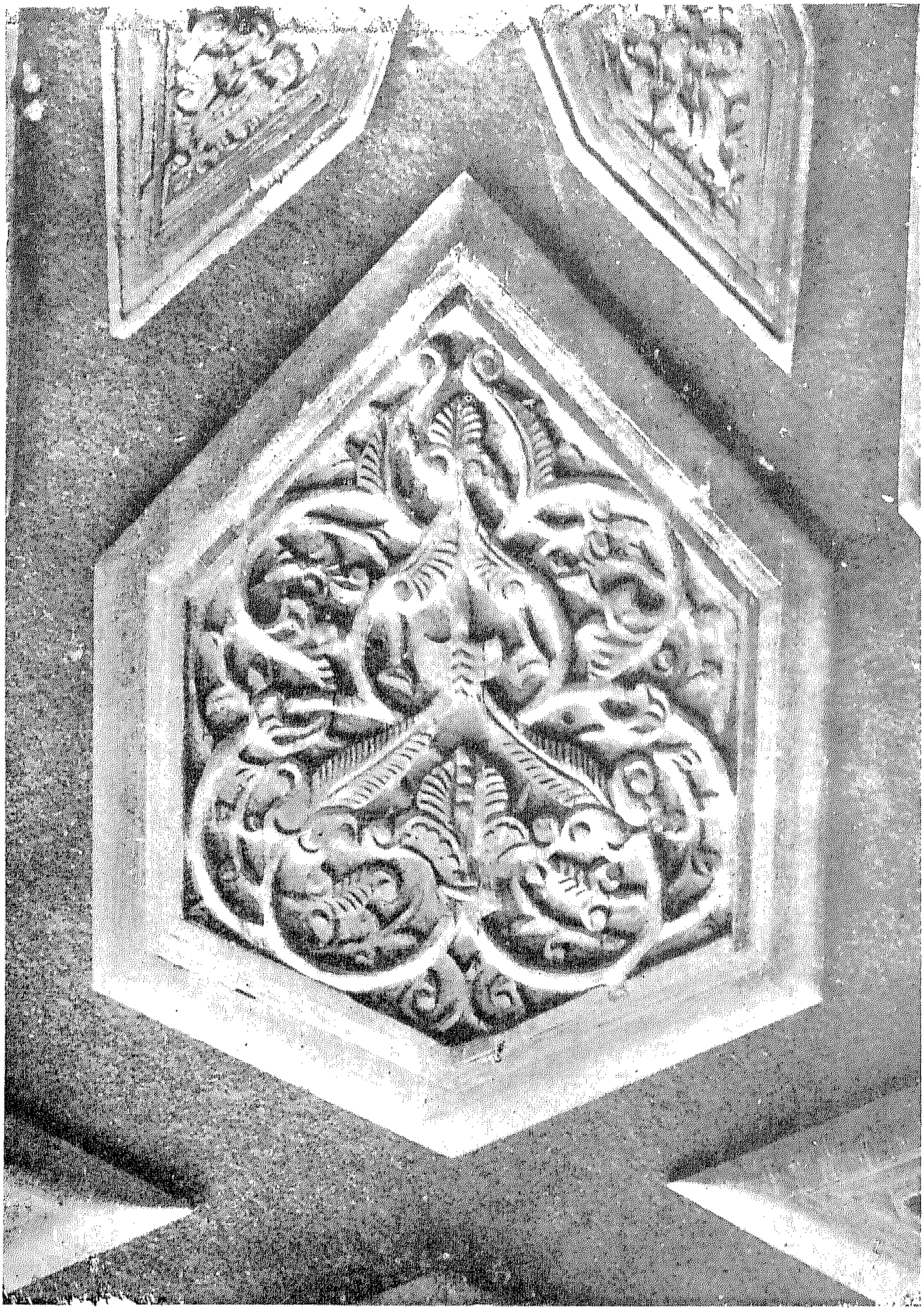

شكل ١٢ : حشوة من حشوات المنبر وتبين دقة الزخارف النباتية .

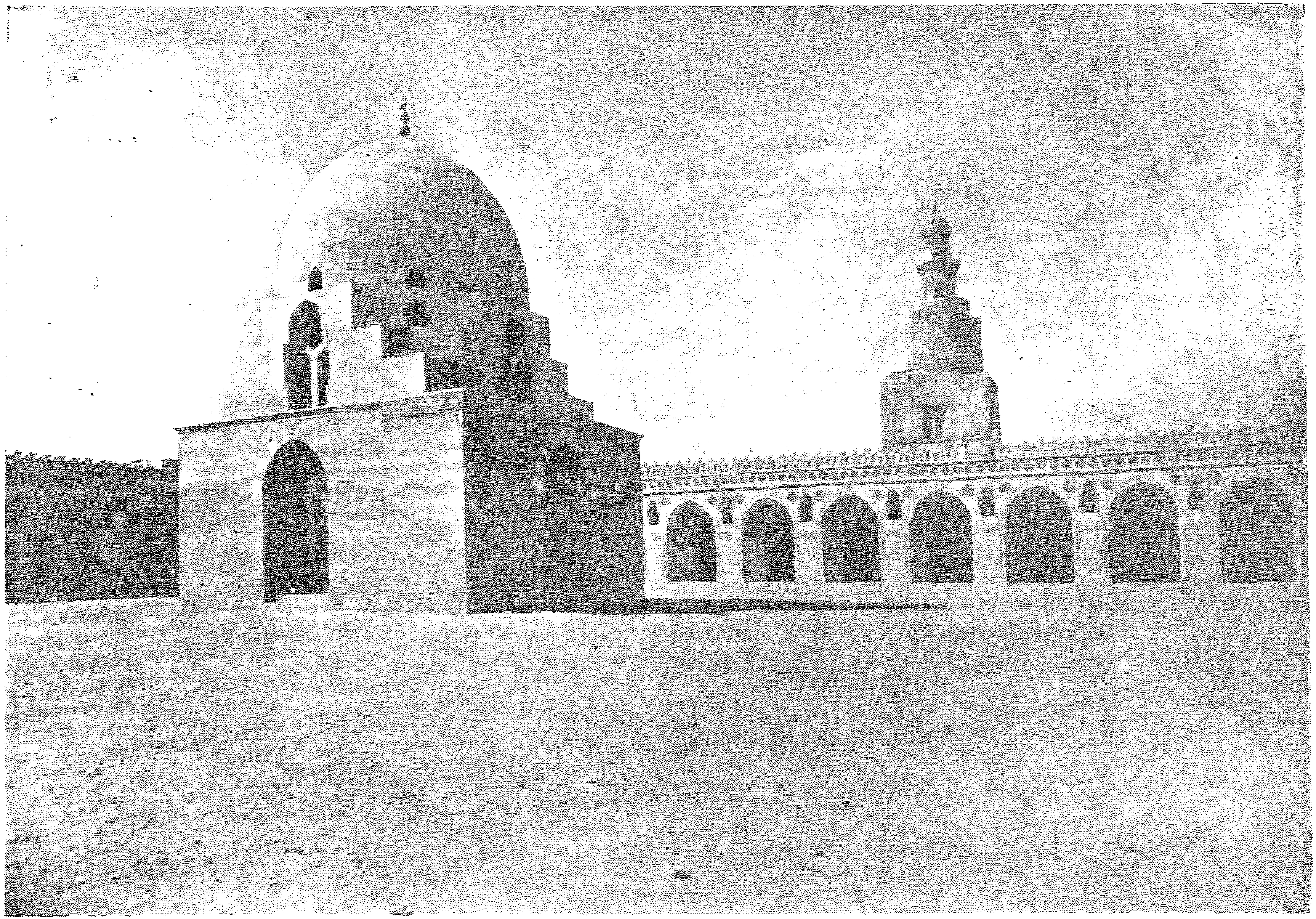

شكل ١٣ : الميضأة والمئذنة وهما من العصر المملوكى . وتشاهد الدعائم والفتحات التى تعلوها والزخارف الجصية التى على هيئة ممرر والشرفات .

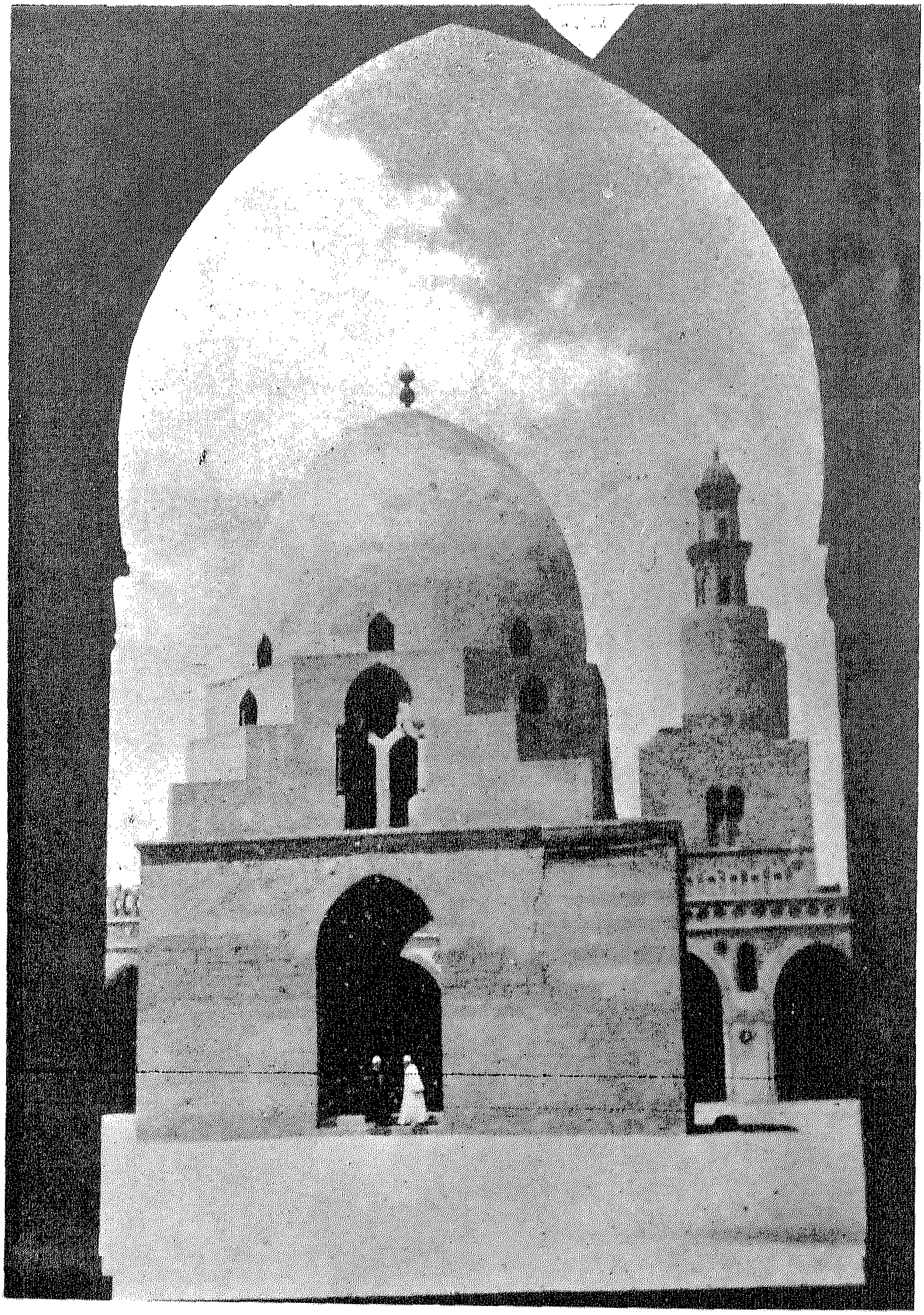

شكل ١٤ : الميضأة وهى من الحجر المنحوت ومن خلفها المئذنة .

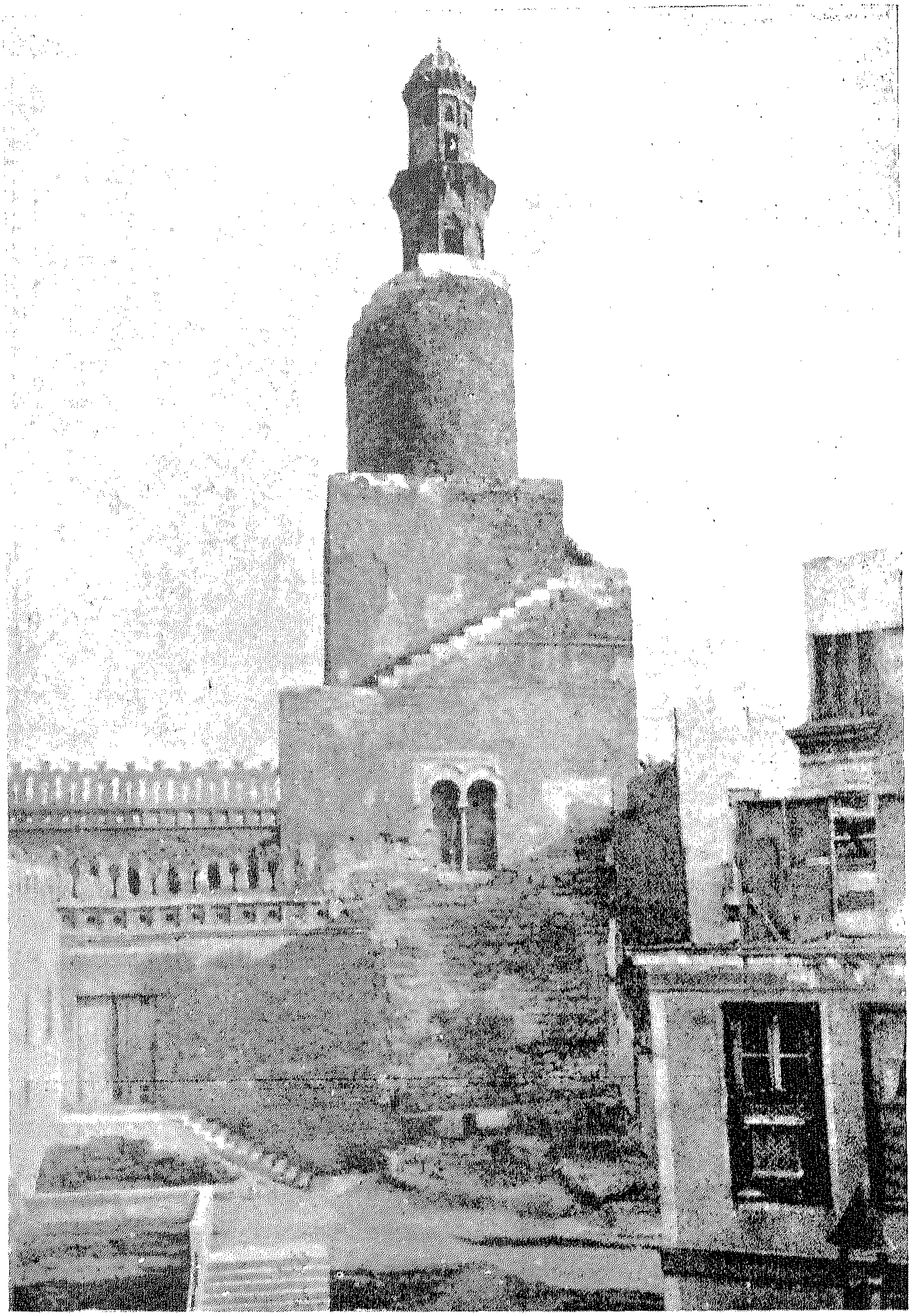

شكل ١٥ : المئذنة وهى فى الزيادة الغربية وترجع إلى العصر المملوكى .

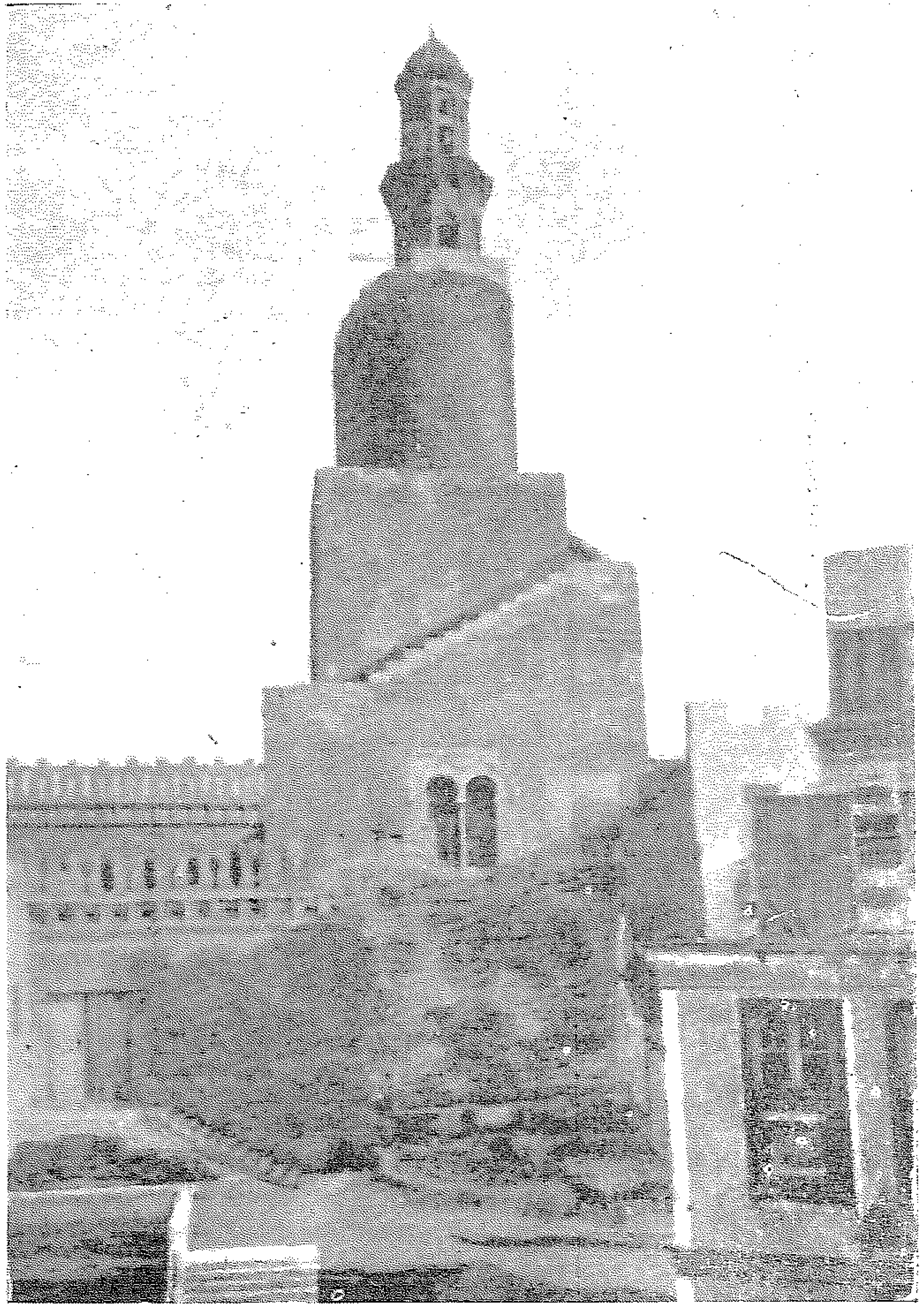

شكل ١٦ : المئذنة التي شيدها « لاجين وهي إلى اليمين . ومئذنة » مسجد سامرا إلى اليسار . ولكل منهما سلم حلزوني من الخارج .

شكل ١٧ : مئذنة مسجد سامرا الكبير (الملوية) ذات السلم الحلزونى من الخارج .

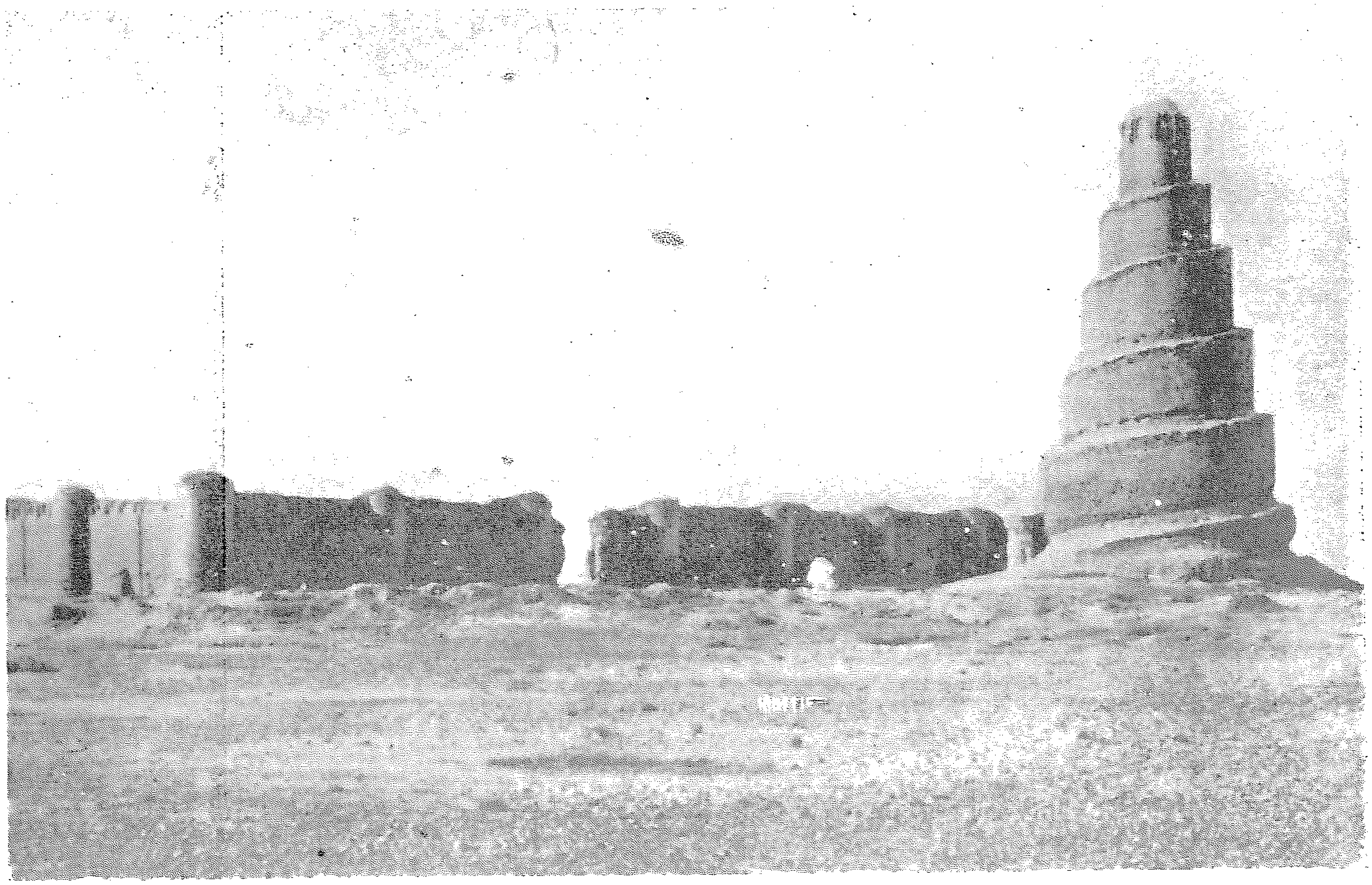

شكل ١٨ : بقايا مسجد سامرا الكبير وتظهر الأسوار والمئذنة ذات السلم الحلزونى من الخارج وهى فى الزيادة الغربية كما هى الحال فى المسجد الطولونى .

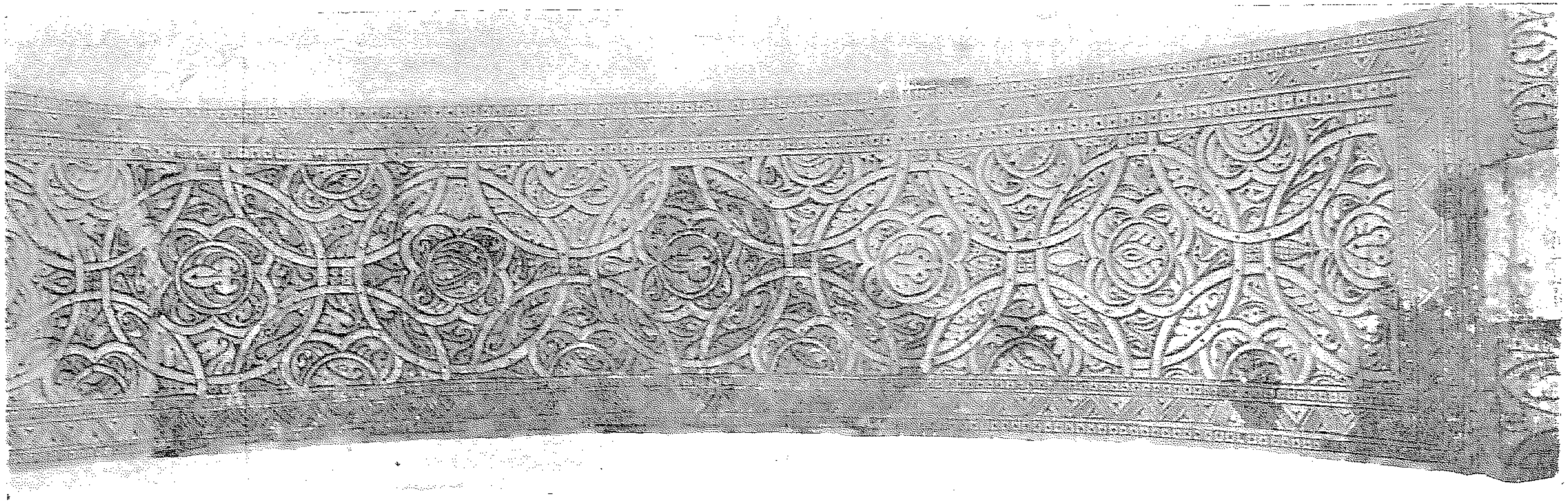

شكل ١٩ : بعض الزخارف الجصية فى بواطن العقود وهى نباتية وهندسية قوامها دوائر متشابكة تذكرنا بزخارف بعض النوافذ التى فى جدار القبلة .

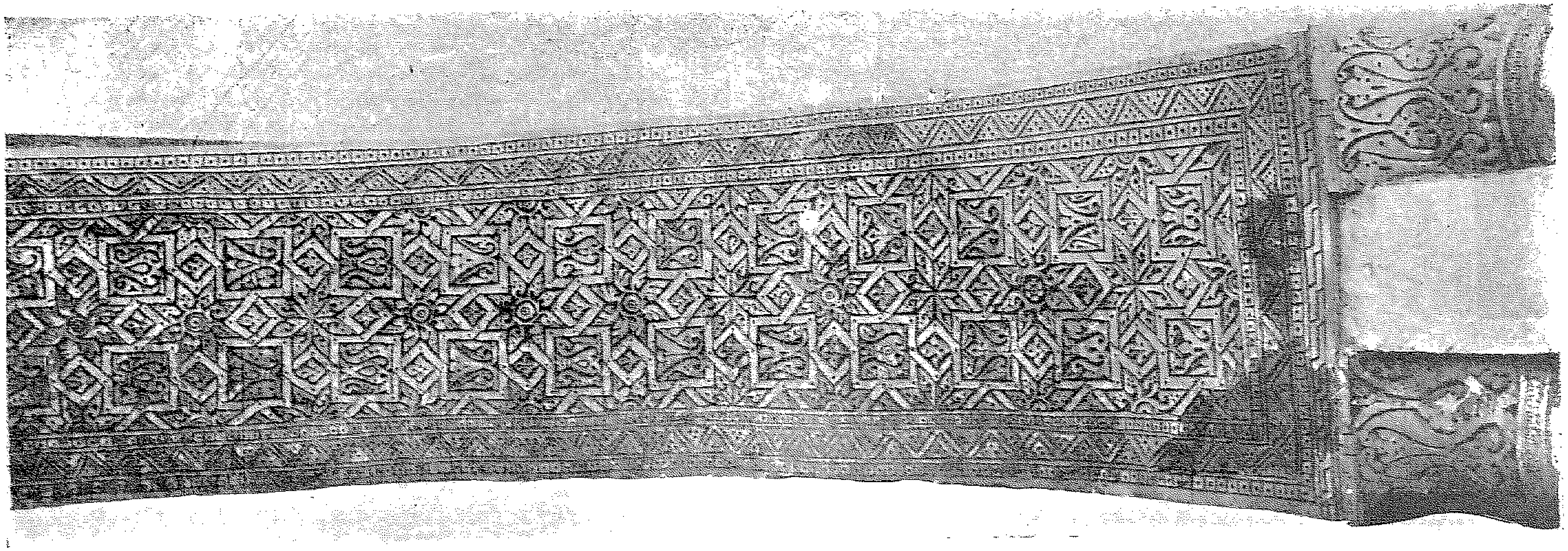

شكل ٢٠ : زخارف جصية هندسية ونباتية فى بواطن بعض العقود .

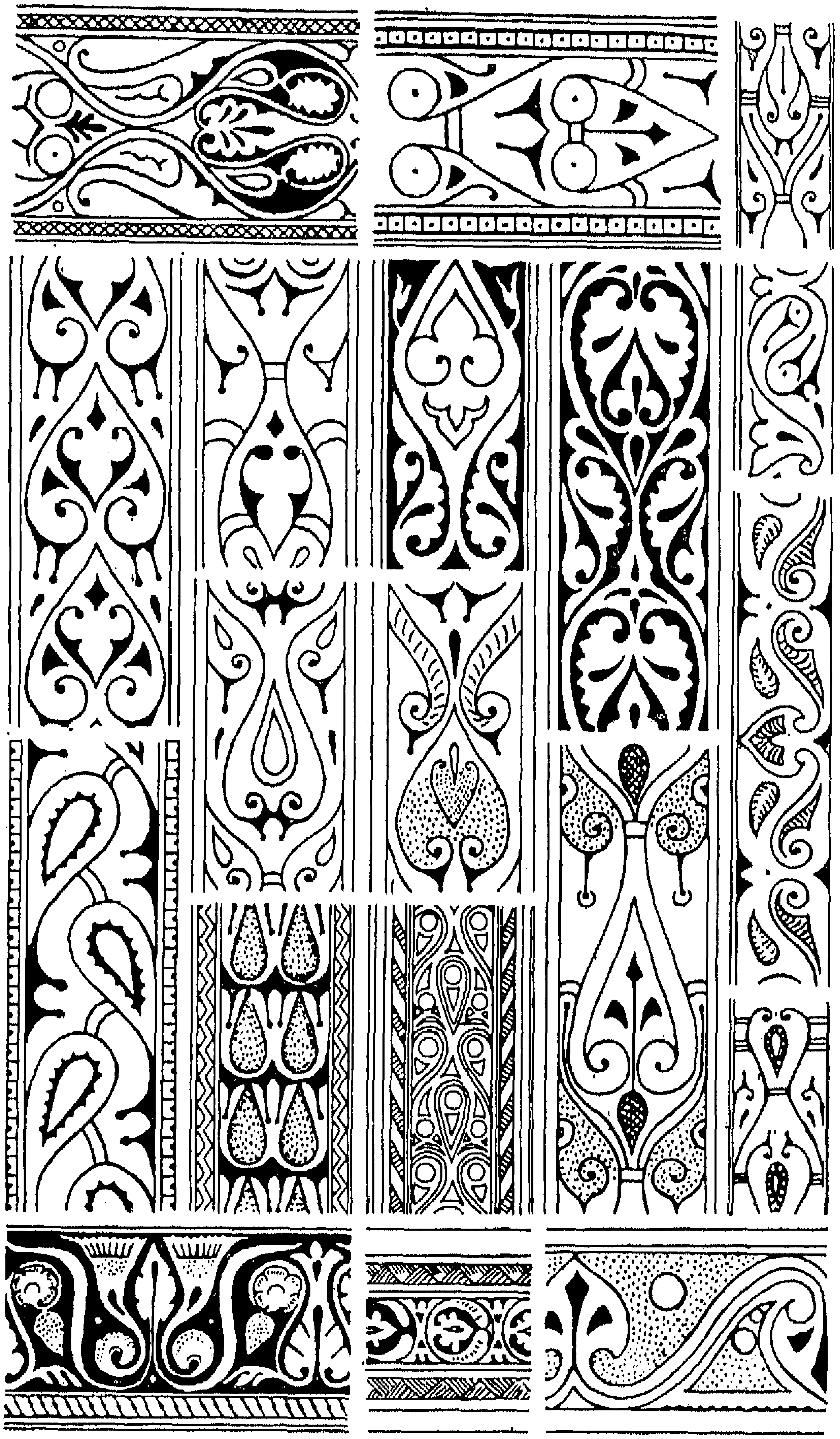

شكل ٢١ : نماذج جميلة من الزخارف الجصية النباتية المنوعة وهى على جانب كبير من الدقة .

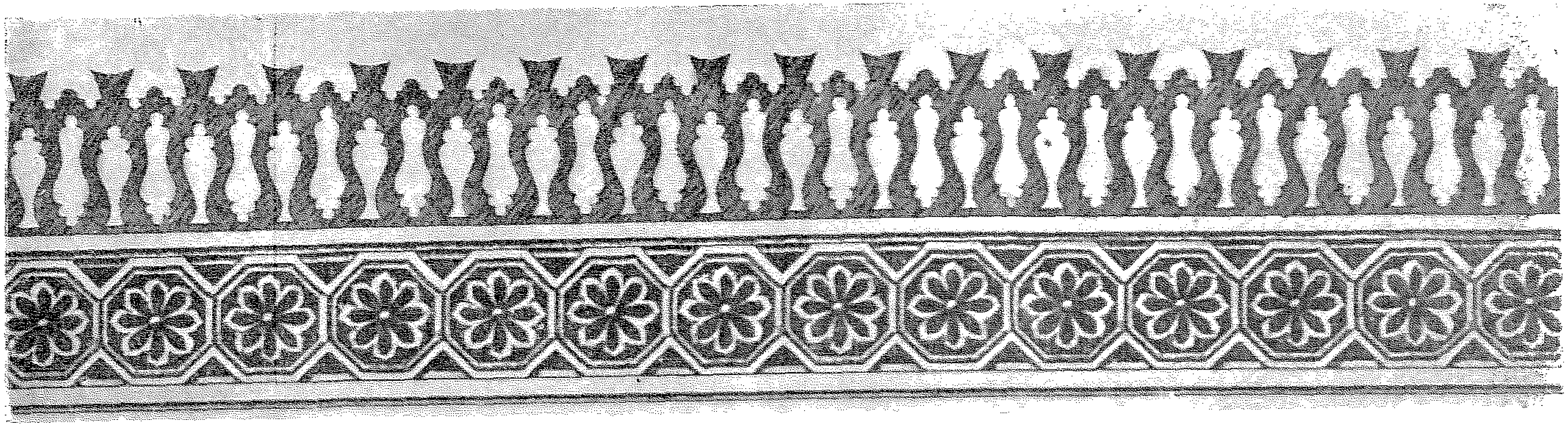

شكل ٢٢ : زخارف هندسية فى الواجهات المطلة على الصحن وتعلوها الشرفات التى على هيئة ألسنة اللهب .

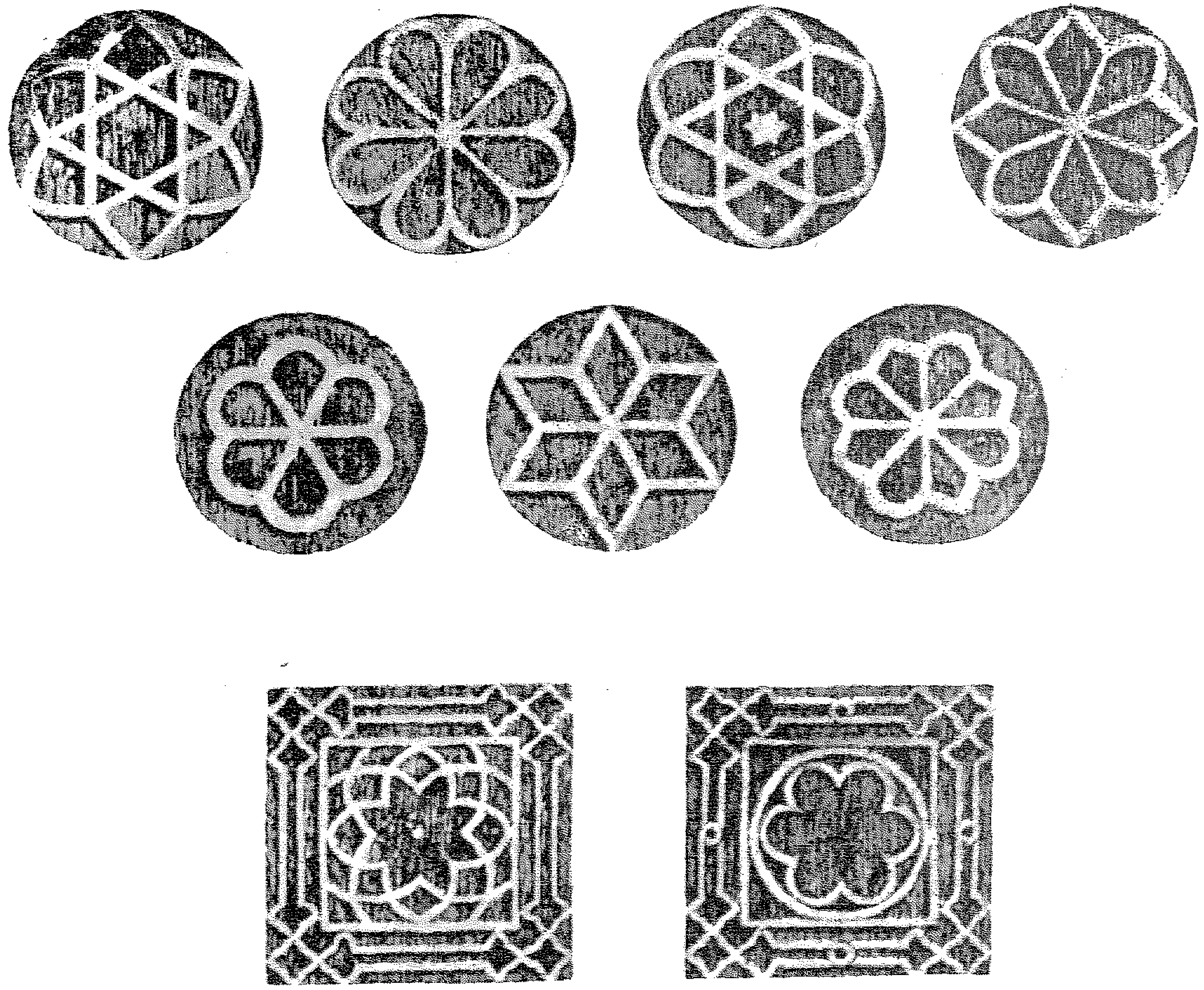

شكل ٢٣ : نماذج من الزخارف التي على هيئة صرر بداخلها أشكال هندسية منوعة وترى على الواجهات المطلة على الصحن .

مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة